

مماثلت المؤمن للنخلة

ثم تأمل هذه النخلة التي هي إحدى آيات الله تجد فيها من الآيات والعجائب ما يبهرك، ولذلك اشتد شبهها من بين سائر الأشجار بالإنسان خصوصاً بالمؤمن كما مثله النبي صلى الله عليه وسلم وذلك من وجوه كثيرة:

أحدها: ثبات أصله في الأرض واستقراره فيها وليس بمنزلة الشجرة التي (اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار)

الثاني: طيب ثمرتها وحلاوتها وعموم المنفعة بها، كذلك المؤمن طيب الكلام والعمل فيه المنفعة لنفسه ولغيره.

الثالث: دوام لباسها وزينتها فلا يسقط عنها صيفاً ولا شتاءً كذلك المؤمن لا يزول عنه لباس التقوى وزينتها حتى يوافي ربه تعالى.

الرابع: سهولة تناول ثمرتها وتيسره كأنها قد هيئت منها المراقي والدرج إلى أعلاها، وكذلك المؤمن خيره سهل قريب لمن رام تناوله لا بالغر ولا باللئيم.

الخامس: أن ثمارها من أنفع ثمار العالم، وكذلك المؤمن .

السادس: أن النخلة أصبر الشجر على الرياح والجهد، وكذلك المؤمن صبور على البلاء لا ترعزه الرياح.

السابع: أن النخلة كلها منفعة لا يسقط منها شيء بغير منفعة فثمرها منفعة وجدعها فيه من المنافع ما لا يجهل للأبنية والسقوف وغير ذلك، وسعفها تسقف به البيوت مكان القصب، وخوصها يتخذ منه أنواع الآنية، والحصر وغيرها. مثل هذا كثير.

وقد طابق بعض الناس هذه المنافع وصفات المؤمن، وجعل لكل منفعة منها صفة تقابل المسلم فلما وصل إلى الشوك الذي في النخلة جعل بإزائه من المسلم صفة الحدة على أعداء الله وأهل الفجور، فيكون عليهم في الشدة والغلظة بمنزلة الشوك، وللمؤمنين بمنزلة الرطب حلاوةً وليناً (أشداء على الكفار رحماء بينهم).

الثامن: أنها كلما طال عمرها زاد خيرها وكذلك المؤمن كلما طال عمره حسن عمله.

التاسع: أن قلبها من أطيب القلوب وأحلاه وهذا أمر خصت به دون سائر الشجر وكذلك قلب المؤمن من أطيب القلوب.

العاشر: أنها لا تتعطل منفعتها بالكلية أبداً، بل إن تعطلت فيها منفعة ففيها منافع أخرى، وهكذا المؤمن لا يخلو من خصال الخير قط . [مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢/١٢٠) ملخصاً]